اني اذنبت ذنبا ولا يغفر الذنوب الا انت فاغفر لي قال فيقول الله تعالى اذنب عبدي ذنبا وعلم ان له ربا
ربا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب اشهدكم اني قد غفرت له ثم يعمل ذلك ثانية وثالثة فيقول الله جل جلاله
في كل مرة مثل ذلك ثم يقول اعمل ما شئت قد غفرت لك يعني ما اذنبت واستغفرت وفي ذلك الحث الاكيد على
الدعاء والمخالف في ذلك لا يعبأ به فان الايات والاحاديث الكثيرة الشهيرة ترد عليه ولا ينافي ما مر من تخلف الاجابة
عن الدعاء كثيرا لان ذلك غالبا لانتفاء بعض شروط الدعاء او وجود بعض موانعه وقد استوفيت بيانها مع
ما يتعلق بها بما لا مزيد على بسطه واستيعابه وتحقيقه في شرح العباب وغيره وقدمت من ذلك في شرح
الحديث العاشر ومن اعظم شرائطه حضور القلب ورجاء الاجابة من الله تعالى لخبر الترمذي ادعوا الله
وانتم موقنون بالاجابة فان الله لا يقبل دعاء من قلب غافل وخبر احمد ان هذه القلوب اوعية فبعضها
اوعى من بعض فاذا سألتم الله فاسألوه وانتم موقنون بالاجابة فان الله لا يستجيب لعبد دعاه من ظهر
قلب غافل ولذا نهي العبد ان يقول في دعائه اللهم اغفر لي ان شئت ولكن ليعزم المسألة فان الله تعالى
لا مكره له ونهي ان يستعجل ويترك الدعاء لاستبطاء الاجابة وانما جعل ذلك من موانع الاجابة حتى لا
يقطع العبد دعاءه وان ابطأت عليه الاجابة لانه تعالى يحب الملحين في الدعاء واخرج الحاكم في صحيحه لا تعجزوا
عن الدعاء فانه لن يهلك مع الدعاء احد ومن اهم ما يسأل مغفرة الذنوب او ما يستلزمها كالنجاة من النار
او دخول الجنة فقد قال صلى الله عليه وسلم حولها ندندن يعني حول سؤال الجنة والنجاة من النار ومن رحمة
الله تعالى بعبده انه يدعوه لحاجة دنيوية فلا يستجيبها له بل يعوضه خيرا منها اصرف سوء عنه او ادخارها
له في الاخرة او بمغفرة ذنب فقد اخرج احمد والترمذي ما من احد يدعو بدعاء الا آتاه الله ما سأل او كف عنه
مثله ما لم يدع باثم او بقطيعة رحم واحمد والحاكم في صحيحه ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم
الا اعطاه الله بها احدى ثلاث اما ان يعجل دعوته واما ان يدخرها في الاخرة واما ان يكشف عنه من السوء
مثلها قالوا اذا نكثر قال الله اكبر ورواه الطبراني وابدل الاخرة بقوله او يغفر له بها ذنبا قد سلف وزاد
تعالى ذلك تاكيدا مبالغة في سعة رجاء خلقه فيما عنده من مزيد التفضل والانعام فقال **يا ابن ادم لو**
بلغت ذنوبك عند فرضها اجراما **عنان** بفتح المهملة اي سحاب **السماء** بان ملأت ما بينها وبين
الارض كما في الرواية الاخرى لو اخطأتم حتى بلغت خطاياكم ما بين السماء والارض ثم استغفرتم الله لغفر
لكم وقيل عنانها ما عن لك منها اي ظهر اذا رفعت راسك اليها **ثم استغفرتني** اي تبت توبة صحيحة
غفرت لك بان اقلعت عن المعصية لله تعالى وندمت عليها من حيث كونها معصية وعزمت ان لا تعود
اليها ورددتها ان كانت ظلامة الى اهلها او تحللت منهم وان تكرر الذنب والتوبة منه مرارا في اليوم الواحد

ومن ثم

ومن ثم ورد عنه صلى الله عليه وسلم ما اصر من استغفر اي تاب وان عاد في اليوم سبعين مرة وابلغ بهذا المثال
الذي هو النهاية في الكثرة عن ان كرمه وفضله وعفوه ومغفرته لا نهاية لها ولا غاية فذنوب العالم
كلها متلاشية عند حلمه وعفوه اذ لو بلغت ذنوب العبد ما عسى ان تبلغ ثم استقال منها بالاستغفار
غفرت لانه طالب الاقالة من كريم والكريم محل اقالة العثرات وعفو الزلات وقد طلب تعالى منا الاستغفار
ووعدنا الاجابة في آي كثيرة من كتابه العزيز وما ذكرناه من ان المراد بالاستغفار التوبة لا مجرد لفظه هو ما ذكره
بعضهم وهو الموافق للقواعد بالنسبة للكبائر اذ لا يكفرها الا التوبة بخلاف الصغائر فان لها مكفرات اخر
كاجتناب الكبائر والوضوء والصلاة وغيرهما فلا يبعد ان يكون الاستغفار مكفرا لها ايضا وينبغي ان يحمل على
ذلك تقييد بعضهم ايضا ثم جميع ما جاء في نصوص الاستغفار المطلقة بما في اية ال عمران من عدم الاصرار فانه تعالى
وعد فيها المغفرة لمن استغفره من ذنوبه ولم يصر على ما فعل قال فتحمل نصوص الاستغفار المطلقة كلها على
هذا التقييد انتهى ثم نحو استغفر الله اللهم اغفر لي من غير توبة دعاء فله حكمه من انه قد يجاب تارة وقد
لا يجاب اخرى لان الاصرار قد يمنع الاجابة كما افاده مفهوم اية آل عمران السابقة واخرج ابن ابي الدنيا
المستغفر من ذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه قيل رفعه منكر ولعله موقوف على رواية ابن عباس
انتهى ويجاب بانه حجة وان فرض انه موقوف لان مثله لا يقال من قبل الراي وكل موقوف كذلك له حكم
المرفوع واخرج ابن ابي الدنيا مرفوعا بينما رجل مستلق اذ نظر الى السماء والى النجوم فقال اني لاعلم ان لك
ربا خالقا اللهم اغفر لي فغفر له ويؤيده خبر الصحيحين ان عبدا اذنب ذنبا فقال رب [illegible] اذنبت ذنبا
فاغفر لي فقال الله عز وجل علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله
تعالى ثم اذنب ذنبا اخر فذكر مثل الاول مرتين اخريين وفي رواية لمسلم انه قال في الثالثة قد غفرت لعبدي
فليعمل ما شاء اي ما دام على هذا الحال كلما اذنب استغفر ولم يصر واخرج ابو داود والترمذي ما اصر من استغفر
وان عاد في اليوم سبعين مرة فالاستغفار التام الكامل المسبب عنه المغفرة هو ما قارن عدم الاصرار
لانه حينئذ توبة نصوح واما مع الاصرار فهو مجرد دعاء كما مر ومن قال انه توبة الكذابين مراده انه ليس
بتوبة حقيقة خلافا لما تعتقده العامة لاستحالة التوبة مع الاصرار على ان من قال استغفر الله واتوب
اليه وهو مصر بقلبه على المعصية كاذب آثم لانه اخبر انه تائب وليس حاله كذلك فان قال ذلك وهو غير مصر
بان اقلع بقلبه عن المعصية فقالت طائفة من السلف يكره له ذلك وبه قال اصحاب ابي حنيفة رحمهم الله تعالى
لانه قد يعود الى الذنب فيكون كاذبا في قوله واتوب اليه والجمهور على انه لا كراهة في ذلك لان العزم
على ان لا يعود الى المعصية واجب فهو مخبر عما عزم عليه في الحال فلا ينافي وقوعه منه في المستقبل فلا كذب

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)